2016

الإرهاب في دول آسيا الوسطى
"الحركة الإسلامية في أوزبكستان نموذجاً"

رغدة محمود محمد البهي

باحث بقسم العلوم السياسية

مدرس مساعد بقسم العلوم السياسية – جامعة القاهرة

الملخص

تحظى منطقة آسيا الوسطى بأهميةٍ استراتيجيةٍ كبرى؛ إذ تعدُّ إحدى ساحات التنافس الدولي بين الولايات المتحدة وروسيا والصين، وبخاصة أنها تزخر بالعديد من الموارد الطبيعية. وعلى الرغم من تزايد أهميتها الاستراتيجية إلا أن مناخها السياسي هيَّأ البيئة المثالية لنمو الحركات الإسلامية الراديكالية المتشددة، خاصةً في ظل غياب الاستقرار السياسي، وتجذُّر الفساد، وانخفاض معدلات النمو الاقتصادي. فاستشرى الإرهاب، وتفشت تجارة الأسلحة، وتزايد غسيل الأموال.

مرَّ الإسلام الراديكالي في آسيا الوسطى بالعديد من التغيرات؛ فقد تحولت الجماعات المحلية في المنطقة إلى منظمات دولية إرهابية، تقوم بعملياتٍ على المستوى العالمي. ويُمكن تقسيم نشاط جماعات الإسلام الراديكالي في دول آسيا الوسطى إلى مرحلتين رئيسيتين: من بداية الحركات الإسلامية الراديكالية منذ انهيار الاتحاد السوفيتي حتى أحداث 11سبتمبر، ومنذ تلك الأحداث والحرب الأمريكية على الإرهاب وأفغانستان.

تضافرت العوامل التي أدت إلى صعود الأصولية الإسلامية في دول آسيا الوسطى، والتي طالت تداعياتها الأمن والاستقرار في المنطقة. فقد تعددت العوامل التي ساهمت في صعود الإسلام الراديكالي في المنطقة، وبخاصة منذ انهيار الاتحاد السوفيتي بالنظر إلى طبيعة الأنظمة السياسية وسياساتها تجاه المسلمين، ناهيك عن تكرار محاولات استئصال شأفة المعارضة السياسية.

وبتسليط الضوء على أوزبكستان كحالة من بين حالات دول آسيا الوسطى، يمكن القول: بأن الحركة الإسلامية في أوزبكستان تعدّ إحدى الحركات الإسلامية المسلحة التي سعت إلى إنشاء دولة إسلامية في مواجهة النظام العلماني الديكتاتوري في أوزبكستان، غير أنها مرت بعديد من المراحل بدءًا بصعود الأصولية الإسلامية ووصولًا لاعتبار الحركة الإسلامية في أوزبكستان منظمة إرهابية، وانتهاءً بانتقالها إلى باكستان وتحديدًا إلى وزيرستان.

وبالنظر إلى أبرز خصائص الحركة الإسلامية من خلال تركيبتها الإثنية وقيادتها وطرق تمويلها، تستخلص الدراسة أن نشاط الحركات الإسلامية في وسط آسيا عرضة للعديد من التغيرات الديناميكية، مما يجعل من الصعوبة بمكان التنبؤ بأنشطتها المستقبلية. فقد تنجح في إقامة دولة موازية في شمال أفغانستان، أو قد تعود إلى وسط آسيا؛ غير أن عودتها هناك كقوة قتالية منظمة أمر مستبعد ولا يتوقع حدوثه، والسيناريو الأقرب هو تدخل الحركة في الأزمات المستقبلية لدول آسيا الوسطي، وأكثر الدول المرشحة لذلك هي أوزبكستان.

ففي تلك الحالة، قد يتزايد دور الحركة الإسلامية من خلال تدريب بعض العناصر الإسلامية أو تقديم أسلحة، وذلك بهدف الاستيلاء على السلطة، إن لم يكن على الدولة ككل. فإذا حدث ذلك فمن المتوقع أن تُقدم روسيا – وأيضًا الصين – دعمًا ومساندة عسكرية مباشرة. وقد يصل الأمر إلى انتشار القوات الروسية على الحدود الأفغانية الطاجيكية، وقد تنشأ قواعد عسكرية في أوزبكستان أو كازاخستان، وهو أمر قد تُرحب به السلطات المحلية في سبيل مواجهة تفشي الإرهاب في المنطقة.

مقدمة

تحظى منطقة آسيا الوسطى[1] بأهميةٍ استراتيجيةٍ كبرى بحكم موقعها على الخطوط الأمامية في المعركة العالمية ضد الإرهاب والجريمة المُنظمة في المنطقة، وما تزخر به من ودائع هائلة من النفط والغاز الطبيعي[2]. كما تعدُّ إحدى ساحات التنافس الدولي بين الولايات المتحدة وروسيا والصين، وهو ما أطلقت عليه الأدبيات "اللعبة الكبرى الجديدة" The New Great Game [3]. فالقاسم المشترك بين تلك الأدبيات هو الاعتراف بأهمية آسيا الوسطى فيما يتصل بثروات بحر قزوين، خاصةً وأنها إحدى روافد أمن الطاقة الأمريكي والصيني، ومسرح للنفوذ السياسي الروسي.

---

(1) تضم منطقة آسيا الوسطى خمس جمهوريات هي: أوزبكستان وكازاخستان وقرغيزستان وتركمنستان وطاجكستان، وقد خضعت جميعها إلى الاحتلالين القيصري ثم السوفيتي لسنوات ممتدة. سميت ببلاد "تركستان"، وأطلق عليها المسلمون اسم "بلاد ما وراء النهر". تمتد من تركيا غربًا حتى حدود الصين شرقًا. فتتمتع بموقع استراتيجي فريد وسط القوى الدولية الكبرى، قريبًا من الهند، وتركيا، وإيران، وأفغانستان. أي أنها تتوسط قوى دولية وإقليمية عدة. مثّل الموقع الجغرافي لتلك الدول سلاحًا ذي حدين، فتزايد أهميتها الاستراتيجية كان سببًا في تعدد محاولات السيطرة عليها. وهي بلاد غنية بالموارد والثروات الطبيعة، فهي تمتلك كثير من احتياطيات البترول والغاز الطبيعي، والذهب واليورانيوم، والأحجار الكريمة. ولمزيد من التفاصيل انظر: **خريطة رقم (1) بملحق الخرائط**، وكذا أمة بوست، ما لا تعرفه عن دول آسيا الوسطى وما ذاقته من الاحتلال والغزو الروسي؟، متاح على:
https://ommahpost.com/do-you-not-know-about-islamic-central-asian-states-and-zgueth-from-russian-occupation-and-invasion/ تاريخ الاطلاع 2017/2/1م

(2) Mariya Omelicheva, Combating Terrorism in Central Asia Explaining Differences in States Responses to Terror, *Terrorism and Political Violence*, Vol. 19, 2007, pp. 369-370.
And: Chi Line Yang, A Critique American Policies Towards Central Asia, *Humanities and Sciences*, Vol. 1, No. 2, October 2008, pp. 333-355.

(3) See for example: Stephan Blank, Energy Economic and Security in Central Asia Russia and its Rivals, *Central Asian Survey*, Vol. 4, No. 3, 1995, pp. 313- 406.
Majid Jafar, Kazakhstan Oil Politics and the New Great Game, In: Shinin Akiner (ed.) *The Caspian Politics Energy and Security* (London: Routledge Curzon, 2004)
Hesene Karasac, Actors of the New Great Game Caspian Oil Politics, *Journal of Southern Europe and Balkans*, Vol. 4, No. 1, 2002.

فمخرجات التنافس الدولي على تلك المنطقة تساهم بشكلٍ مباشر في توزيع القوى بين الأقطاب الكبرى في النظام الدولي، كما تعدّ آسيا الوسطى بحكم موقعها الجغرافي واحدةً من أهم المناطق العازلة بين دول نووية ـ أو لديها طموحات نووية– وفي مقدمتها روسيا والصين وإيران والهند وباكستان(4).

وعلى الرغم من تزايد أهميتها الاستراتيجية إلا أن أوضاعها السياسية المتردية قد ساهمت في خلق بيئةٍ جاذبةٍ للإرهاب. فمناخ آسيا الوسطى السياسي هيَّأ البيئة المثالية والمناخ الخصب لنمو الحركات الإسلامية الراديكالية المتشددة، خاصةً في ظل غياب الاستقرار السياسي، وتجذُّر الفساد وتدهور الأوضاع الاقتصادية، وانخفاض معدلات النمو الاقتصادي. فاستشرى الإرهاب، وتفشت تجارة الأسلحة، وتزايد غسيل الأموال، وتجارة المخدرات(5). كما لعبت الأنظمة السياسية في تلك الدول التي يمكن وصفها بالمستبدة والديكتاتورية دورًا في وصول الأوضاع إلى ما آلت إليه(6).

وتعدُّ الراديكالية الإسلامية وتجارة المخدرات وتنامي ظاهرة الإرهاب تهديدات أمنية روسية. فقد أولت النخبة السياسية الروسية ظاهرة الإرهاب في آسيا الوسطى اهتمامًا كبيرًا آخذةً في الاعتبار احتمالية وقوع الأسلحة الكيميائية والبيولوجية في أيدي الإرهابيين في المنطقة. فقد عمدت روسيا إلى التعاون مع الولايات المتحدة، وشجعت جهود الأخيرة على إزالة الرؤوس النووية من الدول الخلف التي امتلكتها وهي: أوكرانيا، وروسيا البيضاء وكازاخستان. ورغم نجاح تلك الجهود في الحد من الانتشار النووي في تلك الدول إلا أن الخطر البيولوجي والكيمائي لا يزال قائمًا، وبخاصة مع تعدد التنظيمات الإرهابية في دول آسيا الوسطى(7).

وفي ضوء ما سبق، تمثل المشكلة البحثية للدراسة في المفارقة بين الأهمية الاستراتيجية لمنطقة آسيا الوسطى وأوضاعها السياسية المتردية التي ساهمت في خلق بيئةٍ جاذبةٍ للإرهاب، على

---

(4) Roland Dannreuther, International Relations Energy Minerals and Conflict, Polinars Working Paper, No. 8, September 2010, p. 4.

(5) حظيت تجارة المخدرات بالاهتمام الأكبر نظرًا لاستخدامها في تمويل الحروب الأهلية والمتمردين في المنطقة، ناهيك عن كونها أحد أهم مصادر تمويل التنظيمات الإرهابية. ولمزيد من التفاصيل انظر:

Saltanat Berdikeeva, Organized Crime in Central Asia a Threat Assessment, *China and Eurasia Forum Quarterly*, Vol. 7, No. 2, 2009, pp. 75-100.

And: Tamara Makarenko, The Crime-Terror Continuum Tracing the Interplay Between Transnational Organized Crime and Terrorism, *Global Crime*, Vol. 6, No. 1, February 2004, pp. 129-145.

(6) Irina Lonela Pop, Russia, EU, NATO, and the Strengthening the CSTO in Central Asia, *Caucasian Review of International Affairs*, Vol. 3, No. 4, Summer 2009, p. 278.

(7) Gail W. Lapidus, Central Asia in Russian and American Foreign Policy after September 11, 2001, *Paper Presented to Central Asia and Russia Responses to the War on Terrorism, A Panel Discussion at the University of California Berkeley*, October 2001, Available at: http://iseees.berkeley.edu/bps/caucasus/articles/lapidus_2001-1029.pdf

نحو يستوجب تحليل تلك الظاهرة، بل دراسة إحدى الحالات التي تنعكس عليها. ومن ثمَّ، يتمثل السؤال البحثي الرئيسي والذي تسعى الدراسة للإجابة عنه في: كيف تعدّ الحركة الإسلامية في أوزبكستان مرآة عاكسة لظاهرة الإرهاب في آسيا الوسطى مع اختلاف أسباب تلك الظاهرة والمراحل التي مرت بها؟

ويتفرع من هذا السؤال عددٌ من الأسئلة البحثية الفرعية، والتي يمكن إجمالها فيما يلي: ما هي المراحل المختلفة لتطور ظاهرة الإرهاب في منطقة آسيا الوسطى؟ وما هي أسباب تفشِّي تلك الظاهرة؟ وكيف تعدّ الحركة الإسلامية في أوزبكستان مرآة عاكسة لتلك الظاهرة؟ وما هي أبرز خصائصها؟

وللإجابة عن الأسئلة السابقة، تنقسم الورقة إلى ثلاثة أجزاء رئيسة؛ يتضمن **أولها:** تطور ظاهرة الإرهاب في دول آسيا الوسطى، بدايةً من الحركات الإسلامية الراديكالية، ومرورًا بتراجع الإسلام الراديكالي، وانتهاءً بأحداث الحادي عشر من سبتمبر. ويشمل **ثانيها:** أسباب تفشي ظاهرة الإرهاب في آسيا الوسطى، متمثلة في انهيار الاتحاد السوفيتي، والعوامل المعرفية والعرقية والتطرف الديني، وتدهور الأوضاع الاقتصادية، والقمع والاستبداد السياسي، وصعود نظام طالبان في أفغانستان. ويتطرق **ثالثها:** إلى الحركة الإسلامية في أوزبكستان موضحًا أبرز خصائصها من حيث: التركيب العددي والإثني، والقيادة، والهدف الرئيسي لها، ووسائلها في تحقيق أهدافها، ومصادر تمويلها، وعلاقتها مع غيرها من المنظمات الإرهابية الأخرى.

أولاً: تطور ظاهرة الإرهاب في دول آسيا الوسطى

ظل الدور السياسي للإسلام محدودًا – رغم تزايد أعداد المسلمين في آسيا الوسطى – بفعل وقوع دول آسيا الوسطى تحت الحكم السوفيتي، ومع انقضاء تلك الفترة، تزايد تأثير الإسلام على الحياتين السياسية والمدنية[8]. وعليه، مرَّ الإسلام الراديكالي في آسيا الوسطى بالعديد من التغيرات؛ فقد تحولت الجماعات المحلية في المنطقة إلى منظمات دولية إرهابية تقوم بعمليات على المستوى العالمي بالتعاون مع منظمات وجماعات إرهابية إسلامية أخرى[9].

ويمكن تقسيم نشاط جماعات الإسلام الراديكالي في دول آسيا الوسطى إلى مرحلتين رئيسيتين: **أولهما** منذ بداية الحركات الإسلامية الراديكالية ومنذ انهيار الاتحاد السوفيتي حتى أحداث

([8]) Rajan Menon, The New Great Game in Asia, *Survival*, Vol. 45, No. 2, Summer 2003, pp. 187-188.

([9]) يجدر القول بأنه على تعدد الجماعات الإسلامية الإرهابية في دول آسيا الوسطى إلا أن هناك العديد من الجماعات السلمية، ورغم أهميتها هم ليسوا جزءًا من هذه الورقة، إذ أنها تركِّز على الجماعات الإسلامية التي تنتهج العنف في سياستها، وفي مقدمتها الحركة الإسلامية في أوزبكستان التي تفرد لها الورقة الجزء الثالث والأخير لتتناولها بالشرح والتحليل.

11سبتمبر، **وثانيهما** : منذ أحداث 11 سبتمبر والحرب الأمريكية على الإرهاب وعلى أفغانستان في 2001م، حين اضطر الإرهابيون في وسط آسيا إلى الهروب لبيئةٍ جديدة قَّلصت من نفوذهم وأثَّرت في دورهم[10].

أ- بداية الحركات الإسلامية الراديكالية في وسط آسيا

تعود بداية الإسلام الراديكالي في دول آسيا إلى أواخر الثمانينات، مع تزايد مشكلات وأزمات الاتحاد السوفيتي من ناحية وإعلان البريسرويكا والجلاسنوست من ناحيةٍ أخرى[11].

فقد سمح ذلك المناخ باعتناق أفكارٍ جديدة، لذا، بدأت الممارسات الدينية تطفو على السطح. وقد لعبت الحركات الإسلامية في ذلك الوقت دوًرا في تعزيز انتشار الإسلام في المجتمع، فتنوعت أشكال الممارسات الدينية وصولًا لإعادة "أسلمة المجتمع" Islamisation of Society بهدف تغيير هُوية المجتمعات والمنطقة واستنادًا إلى الهوية الإسلامية، التي تتخذ من الشريعة الإسلامية مصدرًا وأساسًا للتشريع.

فمع بداية التسعينيات، ومع انهيار الاتحاد السوفيتي وانهيار النظام الاقتصادي والاجتماعي في المنطقة تزايد دور الإسلام الراديكالي بشكلٍ واضح، وساهم في ذلك اندلاع الحرب الأهلية في طاجيكستان في الفترة من 1992م – 1997م[12]، وأصبح الإسلاميون أحد القوى المعارضة الصاعدة.

(10) Jozef Long, The Radical Islamic Militants of Central Asia, OSW Report, November 2013, p. 8.

([11]) تعني البريستروكيا إعادة البناء، وتشير إلي برنامج الإصلاح الاقتصادي الذي أطلقه الرئيس الأسبق ميخائيل جورباتشوف، بهدف إعادة بناء اقتصاد الاتحاد السوفيتي. وقد صاحبه سياسة الجلاسنوست والتي تعني الشفافية، وكلتاهما أسفرتا عن انهيار الاتحاد السوفيتي. ولمزيد من التفاصيل انظر: محمد بن سالم سليمان الفيفي. البيروسترويكا، متاح على: http://www.faifaonline.net/faifa/articles-action-show-id-2025.htm، تاريخ الاطلاع 2017/2/1م

([12]) كانت الحرب الأهلية الطاجيكية هي الحرب الأهلية الوحيدة التي اندلعت في جمهورية سوفيتية سابقة، فقد اندلعت تلك الحرب في عام 1992 واستمرت قرابة الخمس سنوات. وقد أسفرت عن مقتل ما يزيد عن 100 ألف شخص، ناهيك عن تشتيت ما يقرب من 100 ألف عن منازلهم. وعلى الرغم من ضراوة تلك الحرب إلا أنها لم تجذب انتباه الدول الغربية أو الولايات المتحدة التي لم ترغب أو لم تستطع التدخل في إحدى مناطق نفوذ الاتحاد السوفيتي السابق، بعد أن رغبت في الإبقاء على علاقات طبيعية مع الاتحاد الروسي آنذاك. ولمزيد من التفاصيل انظر:

Sayfiddin Shapoatov, The Tajik Civil War: 1992-1997, Master Thesis, Submitted to the Graduate School of Social Sciences of Middle East Technical University, June 2004, http://etd.lib.metu.edu.tr/upload/12605036/index.pdf

وعقب انتهاء الحرب، وقَّع الأطراف المتحاربة اتفاق سلام في موسكو، أُدمجت من خلاله المعارضة الطاجيكية الموحدة United Tajik Opposition (UTO) في هياكل الدولة ككيان قانوني عُرِف باسم "حزب المقاومة الإسلامية"، لكن الأمر كان مختلفًا في وادي فرغانة في أوزبكستان[13]، حيث ضعفت قبضة الدولة وتزايدت التوترات الإثنية والأزمات الاجتماعية في ظل حالة فراغ السلطة Power vacuum، فقد نجحت التنظيمات الإسلامية في ملء الفراغ السياسي حين نجح الإسلاميون في تشكيل مجالس محلية جذبت عددًا كبيرًا من المتشددين والمتطرفين[14].

ب- تراجع الإسلام الراديكالي

مع نهاية الحرب الأهلية في طاجيكستان انقسم الإسلاميون على أنفسهم؛ فبعض أمراء الحرب المعارضين قبلوا بنود اتفاق السلام واندمجوا في هياكل الدولة بشكل سلمي، في حين قرر البعض الآخر مواصلة القتال والسيطرة على العديد من المواقع الاستراتيجية في الدولة. وقد عمدت الحكومة المركزية في أوزبكستان – بعد أن أعادت ترتيب أوراقها الداخلية – إلى اتخاذ العديد من المبادرات في مواجهة أمراء الحرب، الذين طالب عدد كبير منهم بحق اللجوء السياسي لدى حكومة طالبان في أفغانستان.

وبحلول عام 1998م أسس كل من "جمعة نمنغاني" و"طاهر يولداشيف" الحركة الإسلامية في أوزبكستان(Islamic Movement of Uzbekistan (IMU والتي كان هدفها الأساسي الإطاحة بنظام "إسلام كريموف"[15]، وتأسيس دولة إسلامية في وادي فرغانة. وقد دعمت الحركة الإسلامية علاقاتها ليس فقط مع طالبان ولكن مع عدد من التنظيمات الإرهابية الدولية على حد سواء[16].

([13]) راجع خريطة رقم (2) بملحق الخرائط.

([14]) Jozef Long, Op.cit, p. 10.

([15]) يُعدّ "إسلام كريموف" رئيس أوزبكستان منذ استقلالها عن الاتحاد السوفيتي منذ عام 1991م. فقد تولى في مارس 1990 رئاسة جمهورية أوزبكستان الإشتراكية السوفييتية، لكنه ما لبث أن دعى إلى انتخابات رئاسية في أغسطس 1991 عقب إعلان استقلال أوزبكستان عن الاتحاد السوفييتي، وقد تحقق له الفوز بنسبة 86 %. وقد تمت إعادة انتخابه مرة أخرى في 1995، ومرة ثالثة في يناير 2000، ومرة رابعة في ديسمبر 2007، حين فاز بنسبة 88.1 % من الأصوات بنسبة مشاركة وصلت إلى 90.6%. ولمزيد من التفاصيل انظر:

Ragnhild Hollekim, Uzbekistan: Presidential Election, Report by Norwegian Centre for Human Rights, No. 2, December 2008, Available at:
http://www.jus.uio.no/smr/english/about/programmes/nordem/publications/nordem-report/2008/0208.pdf

([16]) Jozef Long, Op.cit, p. 10.

ج- بعد أحداث الحادي عشر من سبتمبر

وجَّهت أحداث الحادي عشر من سبتمبر النظر ليس فقط صوب الإرهاب المتفشِّي في آسيا الوسطى، ولكن صوب تجارة المخدرات غير المشروعة كأحد المصادر الرئيسة لتمويل الإرهاب أيضًا[17]، وقد جذبت تلك الأحداث اهتمام العديد من القوى الدولية وفي مقدمتها الولايات المتحدة الأمريكية. فوجدت دول آسيا الوسطى نفسها على شفى الحرب الدولية على الإرهاب، واقترحت درجات متفاوتة من الدعم للتحالف الدولي، فاكتسبت بذلك دعم الولايات المتحدة في مواجهة ما أطلقت عليه الإرهاب الإسلامي[18].

وقد أثَّرت أحداث الحادي عشر من سبتمبر في نشاط الجماعات الإسلامية في وسط آسيا إلى حد تقويض هذا النشاط والحد منه، وصولًا إلى تراجعه وتغيُّر طبيعته. فقد اضطرت الحركة الإسلامية في أوزبكستان إلى نقل نشاطها ومقرها بعيدًا عن وسط آسيا.

غير أن دول آسيا الوسطى وظَّفت الحرب على الإرهاب والحاجة الأمريكية لها؛ لتمارس مزيدًا من القمع والتقييد تجاه قوى المعارضة خاصة الإسلامية منها. فقد أصطبغ الإرهاب في تلك الدول بصبغة دولية لم يعدّ معها الإرهاب في تلك الدول شأنًا داخليًا[19].

وقد تجدد الاهتمام الدولي بمنطقة آسيا الوسطى على أثر مجموعة من الانفجارات والأحداث والثورات الملونة، وبخاصة ما حدث في مدينة انديجان في أوزبكستان. علمًا بأن "طقشند" عاصمة أوزبكستان هي المقر الدائم للهيئة الإقليمية لمكافحة الإرهاب المنبثقة من منظمة شانغهاي[20]. فقد

([17]) Ekaterina Stepanova, Illicit Drug Trafficking and Islamic Terrorisms Threats to Russian Security the Limits of the Linkage, Ponars Policy Memo, No. 393, December 2005.

([18]) Tiffany Petros, Op.cit, p. 140.

ولمزيد من التفاصيل عن السياسات الأمريكية تجاه دول آسيا الوسطى انظر:

Jpshma Foust, Security and Human Rights in Central Asia, The Brown Journal of World Affairs, Vol. XIX, Issue 1, Fall-Winter 2012, pp. 45-57.

And: Rouban Azizan, Central Asia and the United States 2004-2005 Moving Beyond Counter Terrorism? Asia Pacific Center for Security Studies, Special Issue, February 2005, Available at: http://www.apcss.org/Publications/SAS/APandtheUS/AzizianCentral2.pdf

([19]) عبير ياسين، الوجود العسكري والسياسية الأمريكية تجاه آسيا الوسطى، *السياسة الدولية*، أبريل 2003، متاح على: http://digital.ahram.org.eg/articles.aspx?Serial=220776&eid=3007

([20]) منظمة شنغهاي للتعاون Shanghai Cooperation Organization (SCO) هي منظمة حكومية دولية تأسست في مدينة شنغهاي الصينية، في الخامس عشر من شهر يونيو عام 2001م من ست دول هي: جمهورية الصين الشعبية،

أسفرت أحداث مدينة أنديجان الأوزبكية عن مقتل 1200 شخص بحسب المصادر المستقلة وقرابة 176 شخص حسب المصادر الرسمية الأوزبكية. فقد ربطت السلطات الرسمية بين المتظاهرين والتيار الإسلامي المتطرف الإرهابي، بل نجحت أوزبكستان في إقناع الولايات المتحدة بإدراج اسم "الحركة الإسلامية" في أوزبكستان على قائمة المنظَّمات الإرهابية المطلوب تصفيتها[21].

ثانيًا: أسباب تفشى ظاهرة الإرهاب في آسيا الوسطى

تضافرت العوامل التي أدت إلى صعود الأصولية الإسلامية في دول آسيا الوسطى التي طالت تداعياتها الأمن والاستقرار في المنطقة ناهيك عن آثارها المختلفة على الدول الإقليمية والمجاورة. فقد تعددت العوامل التي ساهمت في صعود الإسلام الراديكالي في المنطقة؛ وبخاصة منذ انهيار الاتحاد السوفيتي بالنظر إلى طبيعة الأنظمة السياسية وسياساتها تجاه المسلمين، ناهيك عن تكرار محاولات استئصال شأفة المعارضة السياسية، وسوء إدارة البلاد على المستوى القومي[22]. وهي الأسباب التي يمكن إجمالها على النحو الآتي:-

أ- **انهيار الاتحاد السوفيتي:** عانت منطقة آسيا الوسطى من حالة فراغ أيدلوجي عقب انهيار الاتحاد السوفيتي، كما عانت من أزمة هوية تعود في شق كبير منها إلى السياسات السوفيتية، التي سعت إلى القضاء على الهوية الإسلامية في تلك المنطقة [23].

وكازاخستان، وقيرغيزستان، وروسيا، وطاجيكستان، وأوزبكستان. ولدت فكرة المنظمة في أعقاب الاضطرابات الجيوسياسية الناجمة عن اختفاء الاتحاد السوفيتي وإقامة جمهوريات مستقلة في آسيا الوسطى. ومن أهم أهدافها: تعزيز الثقة وحسن الجوار بين الدول الأعضاء، وتعزيز التعاون في مجالات السياسة، والتجارة، والاقتصاد، والثقافة، والتعليم، والطاقة، والنقل، وتعزيز التعاون بشأن القضايا المتعلقة بالأمن، لمكافحة (الشرور الثلاثة) المعروفة، أي .(الإرهاب، والانفصالية، والتطرف)، وتأكيد مبدأي عدم الاعتداء، وعدم التدخل في الشؤون الداخلية للدول، والحفاظ على السلام الإقليمي والأمن والاستقرار. ولمزيد من التفاصيل انظر: منارة دمشق، منظمة شنغهاي للأمن والتعاون، 2016، متاح على:

https://www.babonej.com/%D9%85%D9%86%D8%B8%D9%85%D8%A9-%D8%B4%D9%86%D8%BA%D9%87%D8%A7%D9%8A-1239.html

تاريخ الاطلاع 2017/2/1م

([21]) عاطف السعداوي، آسيا الوسطى والقوقاز بعد أحداث 11سبتمبر تواجد أمريكي تراجع روسي مد استقلالي شيشاني، *حولية أمتي في العالم*، مركز الحضارة للدراسات السياسية، ب.ت.، متاح على:

http://www.hadaracenter.com/pdfs/%D8%A7%D8%B3%D9%8A%D8%A7%20%D8%A7%D9%84%D9%88%D8%B3%D8%B7%D9%8A.pdf

([22]) Shahram Akbarzadeh, Keeping Central Asia Stable, Third World Quarterly, 2004, p. 691

([23]) Irina Lonela Pop, Op.cit, p. 273.

فمع ظهور سياستي البيروسترويكا والجلاسنوست في الاتحاد السوفيتي، ومع الدعم المالي والأيدلوجي الخارجي من قبل عدد من الدول وفي مقدمتها باكستان وتركيا، تزايد عدد المساجد والمدارس الإسلامية في دول آسيا الوسطى، وقد عملت تلك المساجد والمدارس في تلك الفترة بحرية شديدة دون ضغوط سياسية من الحكومات، مما أدى إلي زيادة عدد الدعاة الإسلاميين الذين تأثروا "بالفكر الوهابي"، والذين حُرموا سابقًا من ممارسة شعائرهم الدينية[24].

فمع انهيار الاتحاد السوفيتي تدفق عدد كبير من المسلمين إلى منطقة آسيا الوسطى، حيث سعوا لترسيخ هويتهم القومية والدينية ولكنهم عمدوا إلى لَيْ عنق الإسلام وحقائقه، مستغلين الجهل بتعاليم الإسلام الصحيحة.

فعقب انهيار الاتحاد السوفيتي أصبح من حق المسلمين في تلك المنطقة ممارسة شعائرهم الدينية وتقاليدهم وعاداتهم؛ فأتيحت لهم الفرصة لممارسة شعائر الإسلام بعد عقود عديدة مُنع عليهم ذلك، وهو ما أنتج ممارسات وأشكال راديكالية من الإسلام. فرغم تعدد محاولات الاتحاد السوفيتي في القضاء عليه وطمس الهوية الدينية في الإمبراطورية السوفيتية وبصفةٍ خاصة في منطقة آسيا الوسطى، إلا أن تلك المنطقة ظلت محتفظة بهويتها الإسلامية وتقاليدها وعاداتها[25].

ب- العوامل المعرفية: يفسِّر البعض أسباب تفشي ظاهرة الإرهاب في دول آسيا الوسطى انطلاقًا من تحليلهم لدور العوامل غير المادية. فقد لعب التباين والاختلاف الجذري بين مفهوم الثورة الدينية ضد المهيمن الغربي ورؤية الحداثة، دورًا في تفشِّي تلك الظاهرة، وبخاصة في ظل الاستقطاب الحاد بين كل من القيم الغربية متمثلة في العولمة والمادية – من ناحية–، وبين "المدينة الفاضلة" المحافظة على غرار دولة الخلافة في القرن الرابع عشر – من ناحية أخرى –. ذلك أن "معارضة الغرب" من قبل الجهاديين والتنظيمات الإرهابية تظل إحدى الأهداف الرئيسية التي طالما سعت تلك التنظيمات إلى تحقيقها. ومع ذلك، يجادل البعض الآخر في أن التنظيمات والجماعات الإرهابية المتطرفة لها من الأهداف ما يتجاوز معارضة الغرب، ولكل منها أجندات سياسية، معلنة وغير معلنة[26].

([24]) International Crisis Group, Central Asia Islam and the State, ICG Asia, Report No. 59 July 2003, pp. 1-48.

([25])Tiffany Petros, Islam in Central Asia the Emergency and Growth of Radicalism in the Post-Communist Era, In: Dan Burghart &Theresa Sabonis-Helf (eds.), In the Tracks of Tamerlane: Central Asia's Path to the 21st Century (Washington, D.C.: National Defense University, Center for Technology and National Security Policy, 2004) pp. 139-140.

And: Ahmed Rashid, Jihad the Rise of Militant Islam in Central Asia (New Haven: Yale University press, 2002) pp. 5-6.

([26]) Chatham House, Responding to Terrorism and Other New Threats and Challenges in Central Asia and Afghanistan, REP Seminar Summary, Moscow, 20-21 May 2004,

ج- البعد العرقي والتطرف الديني: درس العديد من المحللين العلاقة بين البعد الإثني والتطرف الديني – من ناحية – والعلاقة بين البعد الإثني وتفشي ظاهرة العنف السياسي والإرهاب – من ناحيةٍ أخرى – وذلك بالتطبيق على دول آسيا الوسطى.

فقد كانت أكثر الأقلّيات ارتباطًا وتوجهًا للإسلام هي الأقليات الدينية، وبخاصة الأوزبك في طاجيكستان وكازاخستان، وكذلك الطاجيك في أوزبكستان، فسرعان ما توجهوا صوب الإسلام الراديكالي وانخرطوا في أعمال عنف وإرهاب. فقد وجدوا في الإسلام الراديكالي تعبيرًا عن هويتهم الإثنية وبخاصة من قبل الأوزبك المقيمين في أماكن الطاجيك وقيرغيزستان من وادي فرغانة، فقد أدى التضييق على الحريات الدينية وفرض العديد من القيود الاجتماعية الرسمية وغير الرسمية على الحقوق السياسية والثقافية للأوزبك والطاجيك كأقليات عرقية إلى ذيوع المنظمات الإسلامية الراديكالية بين تلك الجماعات[27].

د- تدهور الأوضاع الاقتصادية: أدى الفقر وتفشى ظاهرة البطالة إلى خلق بيئة مواتية لتفشّي التنظيمات الإرهابية[28]، فعلى الرغم من تفاوت نسب ومعدلات البطالة بين دول آسيا الوسطى إلَّا أن تلك النسب في معظم الحالات سجَّلت معدلات شديدة الارتفاع، بل تصل في وادي فرغانة إلى قرابة 35%، كما تستشري البطالة بين الشباب وبخاصة بين مَنْ تقل أعمارهم عن 25 سنة، لذا ليس مستغربًا أن يكون وادي فرغانة المعقل الرسمي للإرهابيين والأنشطة الإرهابية وتجنيد الإسلاميين الراديكاليين.

كما يرتفع معدل التضخم في دول آسيا الوسطى بدرجات كبيرة، فقد سجَّل ذلك المعدل وفقًا للتقديرات الرسمية في عام 2004م ما يتراوح بين 7.5-13.9%، غير أن معدَّل التضخم بلغ وفقًا لتقديرات صندوق النقد الدولي قرابة 18%[29]0

https://www.chathamhouse.org/sites/files/chathamhouse/public/Research/Russia%20and%20Eurasia/200504_rep_responding.pdf

([27]) Mariya Omelicheva, The Ethnic Dimension of Religious Extremism and Terrorism in Central Asia, International Political Science Review, Vol. 31, No. 2, 2010, p. 170.

And: Debedra Malik, Terrorism in Central Asia Security Implications for Russia, Journal of International Studies, Vol. 8, 2012, pp. 10-25

([28]) House of Representatives, Central Asia Terrorism Religious Extremism and Regional Stability, Available at: http://democrats.foreignaffairs.house.gov/archives/108/90361.pdf, accessed at: 1/2/2017.

([29]) Shahram Akbarzadeh, Op.cit, p. 692.

فمع انخفاض المستويات المعيشية وتفشّي الفقر الاقتصادي والبطالة، ومع فشل الأنظمة في إدارة دولها يتزايد عدد المجندين من الشباب ويزداد تفشي ظاهرة الإرهاب بين تلك الدول[30].

هـ- صعود نظام طالبان في أفغانستان: أعطى صعود نظام طالبان في أفغانستان دفعةً كبرى للنموذج الإسلامي المتطرف، فقد حظيت الحركات الإرهابية في دول آسيا الوسطى بدعم كبير من نظام طالبان في أفغانستان, ففي ظل فترة حكم طالبان لأفغانستان في الفترة من 1996-2001 كانت أفغانستان قاعدةً لتصدير الجهاديين الإسلاميين للدول المجاورة، ومركزًا لتدريب الإرهابيين والجهاديين والسبب الأساسي في عدم الاستقرار في المنطقة[31].

و- القمع والاستبداد السياسي: هيَّأ الفساد والقمع وعدم الاستقرار في العديد من دول آسيا الوسطى البيئة الخصبة للتطرف والإرهاب. فتعددت الشواهد على تورُّط النخبة الحاكمة في بعض بلدان آسيا الوسطى في تجارة المخدرات والتي توفر الموارد المالية للنشاط الإرهابي، كما ساهمت الأساليب القمعية التي لجأت إليها حكومات دول آسيا الوسطى لكبح جماح المعارضة السياسية المعتدلة دورًا في تحويل تلك المعارضة إلى معارضة متطرفة، حتى باتت "الحرب على الإرهاب" مصدرًا لشرعية النخب السياسية الحاكمة.

فقد اتبعت دول آسيا الوسطى تحت دعاوى الاستقرار السياسي العديد من السياسات السلطوية والديكتاتورية. فالاستقرار من وجهة نظر هذه الدول يتطلب حكمًا سلطويًا يتعامل بحزمٍ مع المعارضة السياسية والتطرف الإسلامي في ظل ما تفرضه من تهديدات تمس النظام السياسي والأبنية السياسية، الأمر الذي انعكس في السياسات الأمنية التي تبنتها دول آسيا الوسطى. ففي الوقت الذي فضلت فيه تركمنستان الحياد وتجنبت الانضمام للعديد من التحالفات السياسية والمنظمات الإقليمية شاركت أوزبكستان في المقابل وبفاعلية في العديد من المنظمات والاتحادات الدولية.

أحد أكثر الأمثلة وضوحًا على القمع السياسي هي سياسات الرئيس "إسلام كريموف" رئيس أوزبكستان الذي منع كافة الأحزاب المعارضة، كما حظر كافة الأنشطة الدينية في دولته. وفي سبيل ذلك انتهك حقوق الإنسان، وهو الأمر الذي استهجنته العديد من المنظمات الإقليمية والدولية وفي مقدمتها الصليب الأحمر ومنظمة الأمن والتعاون الأوروبي والهيومن رايتس وات. Human Rights

(30) Debendra Mahalik, Op.cit, Electronic Resource.
(31) Ahmed Rashid, The Resurgence of Central Asia Islam or Nationalism? (Karachi: Oxford university press, 1999) p. 7.
And: Roy M.S., Terrorism in Central Asia Implications for Regional Cooperation, In: Mahavir Singh (ed.), International Terrorism Extremism Challenges to Central and South Asia (New Delhi: Asamika Publisher, 2004) pp. 186-189.

Watch HRW فقد نجحت تلك المنظمات في توثيق حالات تعذيب واعتقالات سياسية للمعارضين السياسيين والمسلمين. فقد ذكرت منظمة حقوق الإنسان المستقلة في أوزبكستان Independent Human Rights Organization of Uzbekistan (IHROU) في عام 2002م أنه تمَّ اعتقال ما يزيد عن ستة آلاف شخص لأسباب سياسية أو دينية[32].

وقد استمر القمع السياسي والاستبداد تحت عباءة مواجهة الإرهاب؛ فكان القمع السياسي سببًا في تفشي ظاهرة الإرهاب، كما كانت نتاجًا له[33]. ورغم ما آلت إليه الأوضاع في آسيا الوسطى، إلا أن الفرصة ما تزال سانحة أمام المعارضة السياسية المعتدلة، لكي تستفيد من خيبة الأمل الشعبية، والتوق إلى رؤية بديلة.

وإجمالًا وعلى ضوء الأسباب السابقة يمكن القول بأنه: لا يمكن لعامل واحد بمفرده أن يفسِّر صعود الإسلام الراديكالي في وسط آسيا؛ فقد تضافرت العديد من العوامل سواء كانت داخلية أو خارجية منذ انهيار الاتحاد السوفيتي حتى الوقت الحاضر لتفشِّي ظاهرة الإرهاب في دول آسيا الوسطى.

والجدير بالذكر أنه لا يوجد اتفاق بين الأدبيات على أسباب تفشي ظاهرة الإرهاب في آسيا الوسطى[34]، غير أن كافة الأدبيات على اختلافها تنطلق من انهيار الاتحاد السوفيتي بوصفه حلقة فاصلة ليس فقط في تفشِّي ظاهرة الإرهاب في دول آسيا الوسطى ولكن في فهم سياسات تلك الدول أيضًا.

ويمكن فهم صعود الإرهاب والحركات الراديكالية على أنه رفض للأوضاع الحالية أكثر منه تأييد للحكومات الإسلامية ذات الرؤية والخلفية الراديكالية، فالعديد من مسلمي دول آسيا الوسطى لا يُفضِّلون إلغاء النظام العلماني، بل ويدركون الجماعات الإرهابية على أنها تهديد، لكنها تظل الصوت المعارض الوحيد في مواجهة الحكومات الديكتاتورية[35].

ثالثًا: الحركة الإسلامية في أوزبكستان نموذجًا

(32) Johan Poltenger, Op.cit, p. 69.
(33) Mariya Omelicheva, Combating Terrorism in Central Asia Explaining Differences in States Responses to Terror, Op.cit, pp. 369-394.
(34) William J. Charamut. Policing the Silk Road do the Central Asian States Need the United States and Russia to Create and Maintain Stability? Thesis, Naval Post-Graduate School Monterey California, December 2005, http://calhoun.nps.edu/bitstream/handle/10945/1835/05Dec_Charamut.pdf?sequence=1
(35) Tiffany Petros, Op.cit, pp. 139-140.

قبل أن تبدأ الحرب الأمريكية ضد أفغانستان كانت "الحركة الإسلامية الأوزبكية" مجرد تهديد قومي إسلامي لأوزبكستان، نظرًا لما انشق عنها من خلايا وتنظيمات في وسط آسيا، لا تزال متصلةً مع الحركة الإسلامية، وإن تراجع نشاطها بالمقارنة بها.

أ. **نشأة الحركة الاسلامية:**

ويمكن القول بأن بيئة آسيا الوسطى – السابق الإشارة لها – على اختلاف الأسباب التي أدت إلى تفشِّي ظاهرة الإرهاب بها، تعدُّ خير مرآة يمكن من خلالها فهم أسباب نشأة تلك الحركة. فمع نهاية الحكم السوفيتي في أوزبكستان، وحصول أوزبكستان على استقلالها، تدهورت الخدمات العامة المجانية، وتزايد ارتفاع أسعار السلع الأساسية، وخُلقت طبقة جديدة من الفقراء، وتزايد تأثير المنظمات الإجرامية. وزاد العامل الديموغرافي من سوء الأحوال آنذاك؛ ففي عام 1989م، بلغ عدد المواطنين الأوزبك الذين تتراوح أعمارهم بين 10– 14 سنة ثلاثة أمثال ونصف مَنْ تراوحت أعمارهم بين 50 – 54 سنة. مما يعني أن الأجيال الجديدة ستعاني من أزمة بطالة حادة.

ونظرًا لتأثر هوية الأوزبك بفترة حكم الاتحاد السوفيتي من ناحية، وبديانتهم الإسلامية التي يعتنقوها، كانت فلسفتهم مزيجًا من الفلسفة الماركسية والمبادى الإسلامية، فرفضوا النظام السياسي الجديد، ووجَدوا في "الدين الإسلامي" العلاج الاجتماعي الذي يساعدهم على التعامل مع الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية المتأزمة ما بعد الاستقلال.

أو بعبارة أخرى، نبتت جذور الإرهاب عقب انهيار الاتحاد السوفيتي وما تبعه من صحوة إسلامية، جعلت من الإسلام – في نظر الكثيرين – وسيلة لإقامة نظام اجتماعي بالمعنى الواسع في مواجهة الفوضى. وارتبط ذلك أيضًا بصعود القومية المحلية. وفي ظل ذلك، ظهرت العديد من الجماعات الأصولية التي هدفت إلى استعادة الاستقرار السياسي، وضبط الأسعار المحلية، وإن نادت بعضها بأجندات ثورية ولا سيما في ظل وجود تيارات عدة متشددة في "وادي فرغانة" وعجز الدولة عن بسط سيطرتها على كافة أرجاءها.

ومع مرور الوقت، أظهر السلفيون نيتهم في الاستيلاء على السلطة. وفي ديسمبر 1991، سيطروا على المقر المحلي للحزب الشيوعي السابق في مدينة "نامانجان" (Namangan)، وسعوا إلى الإعلان عن نشأة جمهورية أوزبكستان الإسلامية.

وفي فبراير 1992م، سعى الجهاديون – بالإضافة إلى المعارضة الديمقراطية والإسلاميين المعتدلين – إلى تنحية الرئيس "كريموف" وإجباره على التفاوض، من خلال القيام بتمرد، يصلون من خلاله إلى السلطة. وهو ما رد عليه "كريموف" باستخدام الذخيرة الحية لتفريق الحشود في طقشند[36].

وبحلول عام 1996 بدأت الحركة الإسلامية الأوزبكية في الظهور كمنظمة ذات أهداف واضحة، وأولها الإطاحة بالرئيس كريموف بالقوة، وإعادة بناء أوزبكستان كدولة إسلامية، وقد حاولت الحركة من جانبها اغتيال الرئيس كريموف في طقشند في فبراير 1999، حين استخدمت الجماعة خمس سيارات مفخخة في هجوم على عدد من المباني في مُجمع الحكومة. وقد أُعدم على خلفيتها 22 شخص من أعضاء الحركة، وحكم على آخرين بعقوبات تراوحت بين 10–20 عام.

وفي عام 1999م نفذت الحركة حملة اختطاف رهائن بهدف جمع موارد مالية تكفل استمرار الحركة في القيام بأنشطتها، فتمَّ اختطاف 4 من اليابانيين، دفعت في سبيلهم الحكومة اليابانية 6 مليون ين ياباني. كما شنت الحركة في العام ذاته مجموعة من التفجيرات التي استهدفت مباني حكومية بهدف الإطاحة بالرئيس كريموف.

بينما شهد عام 2004م مجموعة من التفجيرات الانتحارية في بخارى وطقشند، فكانت أول تفجيرات انتحارية في وسط آسيا، ناهيك عن أن المفجرين كانوا من النساء، واستهدفوا المدنيين بشكل أكبر من الحكومة، لنشر الرعب بين السكان بالأساس، بهدف إصلاح النظام على شاكلة تفجيرات مدريد في 2004م التي أسفرت عن انسحاب القوات الأسبانية من العراق في مارس من نفس العام.

هاجم الإرهابيون في يوليو 2004 ثلاثة مواقع في طقشند من بينها السفارتين الأمريكية والإسرائيلية وأحد المباني الحكومية. فاستهدف الانتحاريون في تلك الهجمات الدبلوماسيين الأجانب، كأحد الأساليب الجديدة لإطاحة بكريموف، وذلك ردًا على محاكمة 151 مشتبهًا به في أعمال إرهابية قبل تلك التفجيرات بأربعة أيام[37].

قمعت السلطات الرسمية تظاهرة سلمية أقيمت أمام مبنى الحكومة بمدينة أنديجان إحدى أكبر المدن الأوزبكية في 13 مايو 2005م فدفعت السلطات بقواتها وفتحت النيران على المحتجين وقتلت ما بين 800–1500 شخص بعد المجزرة في انديجان. فأظهر كريموف أن أي محاولات لتغيير النظام أو حتى ممارسة ضغوط عليه ستواجه من قِبَل السلطات بكل حسم.

وعقب أحداث الحادي عشر من سبتمبر والحرب الأمريكية على افغانستان اتجهت الحركة إلى الأماكن القبلية في باكستان وبخاصة في وزيرستان. وقد عانت الحركة من خسائر متعددة وعديدة.

([36]) Didier Chaudet, Islamist Terrorism in Greater Central Asia: The "Al-Qaedaization" of Uzbek Jihadism, Russie Nei Visions, No. 35, December 2008, pp. 10-15.
([37]) William J. Chramut, *Op.cit*, pp. 25-36.

ونظرًا للفرار وجدت الحركة نفسها في مناطق بعيدة جغرافيًا عن مسرح عملياتها التقليدي، لكنها أعادت بناء قواعدها وبدأت في تعبئة المتطوعين في آسيا الوسطى. وقد تأثرت في وجودها بالجيش الباكستاني والاستخبارات الباكستانية والجماعات الإجرامية الأخرى الموجودة مثل جماعات التهريب والمافيا والمنظمات الإرهابية الأخرى. ورغم العفو الذي أصدره "كريموف" عن قادتهم إلا أن الحركة الإسلامية الأوزبكية لا يسعها الانتقال إلى أماكن أخرى أو العودة إلى أوزبكستان.

ومن أجل البقاء اختارت الحركة محاربة القوات الباكستانية، التي لم يكن في مقدورها التصدي للحركة الإسلامية بشكل مباشر لكنها عانت من خسائر كبرى في المعارك، واضطرت لتغير موقعها أكثر من مرة. وقد بدأ الموقف في التغير عقب وفاة "يولداشيف" في 2009م التي أعقبها وصول جيل جديد من القادة[38].

وعلى ضوء ما سبق، يمكن القول، أن الحركة الإسلامية في أوزبكستان إحدى التنظيمات الإسلامية المسلحة التي سعت إلى إنشاء دولة إسلامية في مواجهة النظام العلماني الديكتاتوري في أوزبكستان، غير أنها مرت بالعديد من المراحل بدءًا بصعود الأصولية الإسلامية ووصولًا لاعتبار الحركة الإسلامية في أوزبكستان منظمة إرهابية، وانتهاءً بانتقالها إلى باكستان وتحديدًا إلى وزيرستان.

أ- خصائص الحركة الإسلامية

يمكن التعرف على خصائص الحركة الإسلامية في أوزبكستان، وذلك على النحو الآتي:

1- التركيب العددي والإثني: تتكون الحركة الإسلامية من قرابة 10 آلاف شخص يتضمنون قرابة 3000 من المقاتلين. ويمكن القول بصعوبة حصر كافة الأعضاء في تلك الحركة، خاصة مع غياب العضوية الرسمية لها، وانعدام هيكلها التنظيمي، مع مراعاة أن الحركة تتكون من عنصرين رئيسيين **أولهما:** قتالي، ويضم الناشطين المقاتلين، **وثانيهما:** مدني ويتضمن أسر المقاتلين وأطفالهم.

وتضم الحركة اثنيات وعرقيات متنوعة، فهناك الأفغان (وبخاصة الأوزبك إلى جانب التركمان والطاجيك) والروس الترك ومتطوعين من غرب أوربا (سواء مهاجرين من الدول الإسلامية أو العرقيين الألمان الذين أسلموا) إلى جانب جنسيات أخرى. غير أن الكتلة الأكبر من أعضاء تلك الحركة ينتمون إلى آسيا الوسطى وأفغانستان وبدرجات أقل إلى ألمانيا وروسيا.

2- القيادة: رغم أن الحركة الإسلامية الأوزبكية تضم عرقيات عديدة ومتعددة إلا أن الأوزبك يلعبون دوًرا محوريًا في تحديد أنشطة الحركة، ومنهم يأتي أمراء الحركة وقادتها. فعقب وفاة "يولداشيف" في 2009م أصبح "عثمان أديل" قائدًا لها، غير أن المنية قد وافته في عام 2012، فانتقلت القيادة إلى

(38) I Bid, pp. 25-37.

"عثمان غازي" والمعروف سلفًا باسم "عبد الفتاح أحمدي" وهو أحد نواب "يولداشيف" سابقاً لكنه يسير على خطى سابقيه.

3- الهدف الرئيسي للحركة: الهدف الأساسي للحركة الإسلامية الأوزبكية هو إنشاء الدولة الإسلامية في وسط آسيا. ولكن في السنوات الأخيرة، ظهرت فكرة القتال في مواجهة الغرب في أيدلوجية الحركة بتأثير من المنظمات الإرهابية الدولية. حيث ترى الحركة أن الأفعال الإرهابية بما في ذلك الموجهة صوب المدنيين مشروعة، بل وتعدّ أحد وسائل الكفاح جنبًا إلى جنب مع النضال المسلح.

4- وسائل الحركة في تحقيق أهدافها: تتعدد الوسائل التي تستخدمها الحركة في تحقيق أهدافها، وتتباين وتتعدد بشكل جذري من الأنشطة الإرهابية وحروب العصابات إلى العمليات القتالية. ورغم تركز الحركة في باكستان إلا أنها تشن عملياتها في أفغانستان وعلى نطاق دولي واسع.

فترتكز البنية التحتية للحركة على معسكرات التدريب وأسر المجاهدين في شمالي وزيرستان في باكستان، غير أن نشاطها الأساسي ينصب على شمالي أفغانستان؛ حيث أصبحت الحركة الإسلامية الأوزبكية – بحكم الواقع – الجناح الأوزبكي لطالبان، إذ تمارس الحركة الإسلامية عديد من الأنشطة الإرهابية خارج منطقة اهتمامها التقليدي، خاصة في غرب أوروبا.

5- مصادر التمويل: تحصل الحركة الإسلامية الأوزبكية على التمويل اللازم لها من مصادر عدة، يمكن تقسيمها إلى ثلاثة مصادر رئيسة؛ أولها: النشاط التجاري للحركة وأعضائها في الأقاليم الباكستانية القبلية، ناهيك عن الأموال المتدفقة من تجارة المخدرات غير المشروعة من أفغانستان. وثانيها: الدعم المالي من منظمات إرهابية أخرى، وبصفةٍ خاصة من تنظيم القاعدة، في مقابل اشتراك الحركة في العديد من المشروعات المشتركة سواء أنشطة إرهابية أو تدريب المقاتلين. وثالثها، الدعم المالي من المتعاطفين والمؤيدين لنشاط الحركة سواء من المهاجرين إلى وزيرستان أو من المقيمين في الخارج.

6- التعاون مع منظمات إرهابية أخرى: تتعاون الحركة الإسلامية الأوزبكية مع العديد من المنظمات الإرهابية الأخرى[39]، وتتقابل العديد من المنظمات الإرهابية والحلقات الإرهابية في شمالي وزيرستان، حيث تتبادل تلك التنظيمات المعلومات والخبرات والمصادر المالية، غير أن الصلات والتحالفات الإرهابية عرضة للتغيرات الدراماتيكية والتقلبات من آن لآخر، فقد تتحالف معًا في فترة زمنية ما ثم تنقلب على بعضها البعض[40].

(39) Al-qaida the Haqqani Network and the Afghan.
(40) Jozef Lang, Op.cit, pp. 23-29.

وعقب مرور ما يزيد عن عقد على أول ظهور لها بوصـــفها واحدة من أكثر الحركات الإســـلامية المتشددة، تَركّزَ نشاط الحركة في وزيرستان، حيث منطقة الجبال المضطربة الباكستانية، وتزايد أعداد المقاتلين المنتمين للحركة الإسـلامية، واتسـعت أهدافها، فلم تعد تقتصـر على تغيير النظام السـياسـي الأوزبكي فحسب، بل عاودت نشاطها في جنوب آسيا، وتكشف صلتها بانفجار العنف في وادي راشت في المناطق الشـرقية لطاجيكسـتان، وتردد اسـم الحركة أيضًـا في تحقيقات عن أعمالٍ إرهابية كانت تستهدف أوروبا.

وعقب مقتل معظم مقاتلي الحركة في أفغانستان – عقب انضمامهم إلى حركة طالبان – لجأ من تبقى منهم إلى شمال غربي باكستان. فانضم العديد من المتطوعين من آسيا الوسطى إلى منظمات متشددة مثل تنظيم القاعدة وحركة طالبان الباكستانية وغيرها من الجماعات الجهادية.

وكشـف تفجير شـابكادارا[41] – في فبراير 2008م –، عن أن حركة أوزبكسـتان الإسـلامية عادت من جديد بقوة، مما يؤكد توسـع الحركة الأوزبكية في آسـيا الوسـطى وباكسـتان ويؤكد صـلتها الوثيقة مع القاعدة، وقاتل عدد كبير من مقاتليها ضـد القوات الباكسـتانية في منطقة القبائل، وبدأوا في اسـتقطاب متطوعين جدد من آسيا الوسطى، وشنوا هجمات داخل آسيا الوسطى.

ولعل الحدث الأبرز – على صـعيد الحركة الإسـلامية الأوزبكية – هو انشـقاق العديد من المجموعات الأخرى الأكثر عدوانية، إذ تعددت المجموعات التي انشـقت عنها في آسـيا الوسـطى (اتحاد الجهاد الإســـلامي وطالبان آســـيا الوســـطى) ولا أحد يمكنه على وجه الدقة تحديد كيف حدثت تلك الانقسامات[42].

([41]) استهدف تفجير شابكادارا – وهي منطقة زراعية بالقرب من بيشاور – قتل السياسي الأفغاني البشتوني العلماني "أفراسياب خاتاك" الذي نجا من محاولة الاغتيال، والتي أسفرت عن مقتل 25 آخرين. وقد كشفت التحقيقات أن مرتكب الهجوم هو أحد الانتحاريين التابعين لحركة أوزبكستان الإسلامية، وعلى إثر ذلك قامت حكومة المقاطعة بتنفيذ عملية عسكرية في عام 2009م، واعتقلت كثير من المقاتلين المنحدرين من دول آسيا الوسطى، مما أكد اتساع دور الحركة الأوزبكية في آسيا الوسطى وباكستان. ولمزيد من التفاصيل انظر: العربية، مؤشرات على عودة حركة "أوزبكستان الإسلامية" للعمل في جنوب ووسط آسيا بعد مرور عقد على أول ظهور لها، متاح على:

http://www.alarabiya.net/articles/2010/12/14/129585.html ،تاريخ الاطلاع 2017/2/1م.

([42]) باسل الحاج، حركة أوزبكستان الإسلامية" تعاود نشاطها في آسيا الوسطى، متاح على:

http://www.alarabiya.net/views/2010/12/14/129519.html ،تاريخ الاطلاع 2017/2/1م.

خاتمة

نشـاط الحركات الإسـلامية في وسـط آسـيا عرضـة للعديد من التغيرات الديناميكية، وهو الأمر المحتمل اسـتمراره في المسـتقبل ويجعل من الصـعوبة التنبؤ بالأنشـطة المسـتقبلية للحركة الإسلامية. فقد تنجح في إقامة دولة موازية في شمال أفغانستان أو قد يتزايد نشاطها على نحو صارخ في وسط آسيا، الأمر الذي تتضافر العديد من العوامل الحالية والمستقبلية في حسمه، وفي مقدمتها الأوضاع السياسية في وسط آسيا ومستقبل أفغانستان بعد الانسحاب الأمريكي.

غير أن عودة الحركة الإسلامية إلى وسط آسيا كقوة قتالية منظمة أمر غير مستبعد وقد يتوقع حدوثه، وقد تتدخل الحركة في الأزمات المستقبلية، التي قد تشهدها دول آسيا الوسطي، وأكثر الدول المرشحة لذلك هي أوزبكستان، خاصةً إذا ما قاد الكفاح على السلطة إلى صراع مسلح.

ففي تلك الحالة، قد يتزايد دور الحركة الإسلامية من خلال تدريب بعض العناصر الإسلامية أو بتقديم أسـلحة، وذلك بهدف الاسـتيلاء على السـلطة إن لم يكن على الدولة ككل، وإنْ حدث هذا الأمر فسـيكون له العديد من التداعيات على دول آسـيا الوسـطى والدول المجاورة. والمتوقع أن تقدم روسـيا وأيضًا الصين الدعم والمساعدات العسكرية المباشرة، وقد يصل الأمر إلى انتشار القوات الروسية على الحدود الأفغانية الطاجيكية، وقد تنشأ قواعد عسكرية في أوزبكستان أو كازاخستان وهو أمر قد ترحب به السلطات المحلية في سبيل مواجهة تفشي الإرهاب في المنطقة.

ملحق الخرائط

خريطة رقم (1): منطقة آسيا الوسطى

خريطة رقم (2): دولة أوزبكستان

قائمة المراجع

أولًا: المراجع باللغة العربية

أ- الدوريات العلمية

1- عاطف السعداوي، آسيا الوسطى والقوقاز بعد أحداث 11 سبتمبر تواجد أمريكي تراجع روسي مد استقلالي شيشاني، *حولية أمتي في العالم*، مركز الحضارة للدراسات السياسية، ب.ت، متاح على:
http://www.hadaracenter.com/pdfs/%D8%A7%D8%B3%D9%8A%D8%A7%20%D8%A7%D9%84%D9%88%D8%B3%D8%B7%D9%8A.pdf

2- عبير ياسين، الوجود العسكري والسياسية الأمريكية تجاه آسيا الوسطى، *السياسة الدولية*، أبريل 2003، متاح على: http://digital.ahram.org.eg/articles.aspx?Serial=220776&eid=3007

ب- المراجع على شبكة المعلومات الدولية:

1- العربية، مؤشرات على عودة حركة "أوزبكستان الإسلامية" للعمل في جنوب ووسط آسيا بعد مرور عقد على أول ظهور لها، متاح على:
، تاريخ الاطلاع 2017/2/1م.http://www.alarabiya.net/articles/2010/12/14/129585.html

2- أمة بوست، ما لا تعرفه عن دول آسيا الوسطى وما ذاقته من الاحتلال والغزو الروسي؟، متاح على:
https://ommahpost.com/do-you-not-know-about-islamic-central-asian-states-and-zgueth-from-russian-occupation-and-invasion/ تاريخ الاطلاع 2017/2/1م

3- باسل الحاج جاسم، خريطة الحركات الإسلامية في آسيا الوسطى، متاح على:

http://www.Alarabiya.net.Views.2006/12/18/300120.html ،تاريخ الاطلاع 2017/2/1م

4- حركة أوزبكستان الإسلامية" تعاود نشاطها في آسيا الوسطى، متاح على:

http://www.alarabiya.net/views/2010/12/14/129519.html تاريخ الاطلاع 2017/2/1م

5- محمد بن سالم سليمان الفيفي. البيروسترويكا، متاح على:

http://www.faifaonline.net/faifa/articles-action-show-id-2025.htm ،تاريخ الاطلاع 2017/2/1م

6- منارة دمشق، منظمة شنغهاي للأمن والتعاون، 2016، متاح على:

https://www.babonej.com/%D9%85%D9%86%D8%B8%D9%85%D8%A9-%D8%B4%D9%86%D8%BA%D9%87%D8%A7%D9%8A-1239.html

تاريخ الاطلاع 2017/2/1م

ثانيًا: المراجع باللغة الانجليزية

A- Books

1) Akiner, Shinin (ed.), The Caspian Politics Energy and Security (London: Routledge Curzon, 2004)
2) Burghart, Dan & Theresa Sabonis- Helf (eds.), In the Tracks of Tamerlane: Central Asia's Path to the 21st Century (Washington, D.C.: National Defense University, Center for Technology and National Security Policy, 2004)
3) Rashid, Ahmed, Jihad the Rise of Militant Islam in Central Asia (New Haven: Yale University press, 2002)
4) The ~~Resurgence o~~f Central Asia Islam or Nationalism? (Karachi: Oxford university press, 1999)
5) Singh, Mahavir (ed.), International Terrorism Extremism Challenges to Central and South Asia (New Delhi: Asamika Publisher, 2004)

B- Periodicals

1) Akbarzadeh, Shahram, Keeping Central Asia Stable, Third World Quarterly, 2004.
2) Azizan, Rouban, Central Asia and the United States 2004-2005 Moving Beyond Counter Terrorism? Asia Pacific Center for Security Studies, Special Issue, February 2005, Available at: http://www.apcss.org/Publications/SAS/APandtheUS/AzizianCentral2.pdf
3) Berdikeeva, Saltanat, Organized Crime in Central Asia a Threat Assessment, China and Eurasia Forum Quarterly, Vol. 7, No. 2, 2009.
4) Blank, Stephan, Energy Economic and Security in Central Asia Russia and its Rivals, Central Asian Survey, Vol. 4, No. 3, 1995.
5) Chaudet, Didier, Islamist Terrorism in Greater Central Asia: The "Al-Qaedaization" of Uzbek Jihadism, Russie Nei Visions, No. 35, December 2008.
6) Dannreuther, Roland, International Relations Energy Minerals and Conflict, Polinars Working Paper, No. 8, September 2010.
7) Ekaterina Stepanova, Illicit Drug Trafficking and Islamic Terrorisms Threats to Russian Security the Limits of the Linkage, Ponars Policy Memo, No. 393, December 2005.
8) Foust, Jpshma, Security and Human Rights in Central Asia, The Brown Journal of World Affairs, Vol. XIX, Issue 1, Fall-Winter 2012.
9) International Crisis Group, Central Asia Islam and the State, ICG Asia, Report No. 59 July 2003.
10) Karasac, Hesene, Actors of the New Great Game Caspian Oil Politics, Journal of Southern Europe and Balkans, Vol. 4, No. 1, 2002.

11) Lonela Pop, Irina, Russia, EU, NATO, and the Strengthening the CSTO in Central Asia, Caucasian Review of International Affairs, Vol. . 3, No. 4, Summer 2009.
12) Long, Jozef, The Radical Islamic Militants of Central Asia, OSW Report, November 2013.
13) Makarenko, Tamara, The Crime-Terror Continuum Tracing the Interplay Between Transnational Organized Crime and Terrorism, Global Crime, Vol. 6, No. 1, February 2004.
14) Malik, Debedra, Terrorism in Central Asia Security Implications for Russia, Journal of International Studies, Vol. 8, 2012.
15) Omelicheva, Mariya, Combating Terrorism in Central Asia Explaining Differences in States Responses to Terror, Terrorism and Political Violence, Vol. 19, 2007.
16) The Ethnic Dimension of Religious Extremism and Terrorism in Central Asia, International Political Science Review, Vol. 31, No. 2, 2010.
17) Yang, Chi Line, A Critique American Policies Towards Central Asia, Humanities and Sciences, Vol. 1, No. 2, October 2008.

C- Dissertations:

1) Charamut, William J., Policing the Silk Road do the Central Asian States Need the United States and Russia to Create and Maintain Stability? Thesis, Naval Post Graduate School Monterey California, December 2005,
2) http://calhoun.nps.edu/bitstream/handle/10945/1835/05Dec_Charamut.pdf?sequence=1
3) Shapoatov, Sayfiddin, The Tajik Civil War: 1992-1997, Master Thesis, Submitted to the Graduate School of Social Sciences of Middle East Technical University, June 2004, http://etd.lib.metu.edu.tr/upload/12605036/index.pdf

D- Conferences:

1) Gail W. Lapidus, Central Asia in Russian and American Foreign Policy after September 11, 2 001, Paper Presented to Central Asia and Russia Responses to the War on Terrorism, A Panel Discussion at the University of California Berkeley, October 2001, Available at: http://iseees.berkeley.edu/bps/caucasus/articles/lapidus_2001-1029.pdf

E- Reports and Research Papers:

1) Chatham House, Responding to Terrorism and Other New Threats and Challenges in Central Asia and Afghanistan, REP Seminar Summary, Moscow, 20-21 May 2004, https://www.chathamhouse.org/sites/files/chathamhouse/public/Research/Russia%20and%20Eurasia/200504_rep_responding.pdf
2) Hollekim, Ragnhild, Uzbekistan: Presidential Election, Report by Norwegian Centre for Human Rights, No. 2, December 2008, Available at: http://www.jus.uio.no/smr/english/about/programmes/nordem/publications/nordem-report/2008/0208.pdf
3) House of Representatives, Central Asia Terrorism Religious Extremism and Regional Stability, Available at:
4) http://democrats.foreignaffairs.house.gov/archives/108/90361.pdf, Accessed at: 1/2/2017